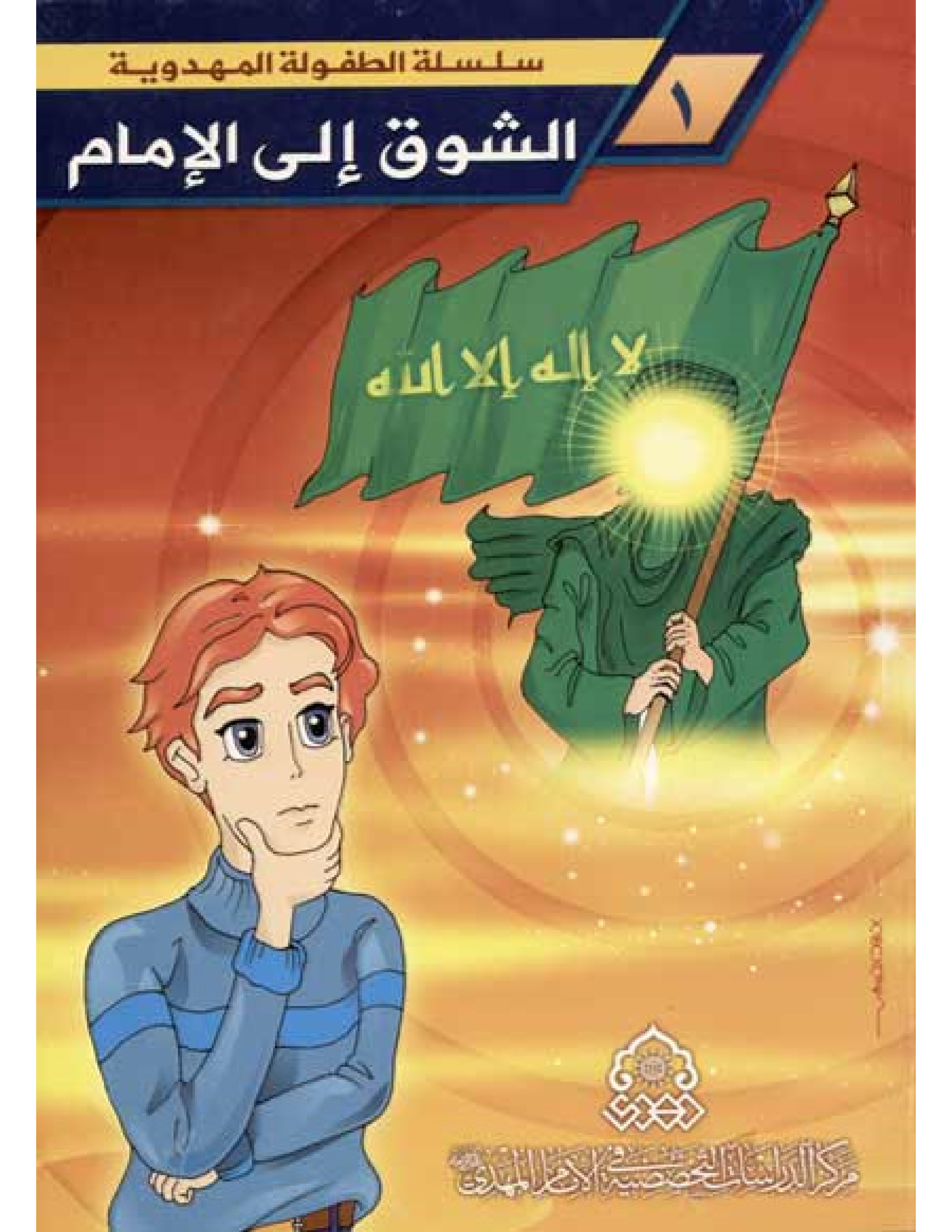
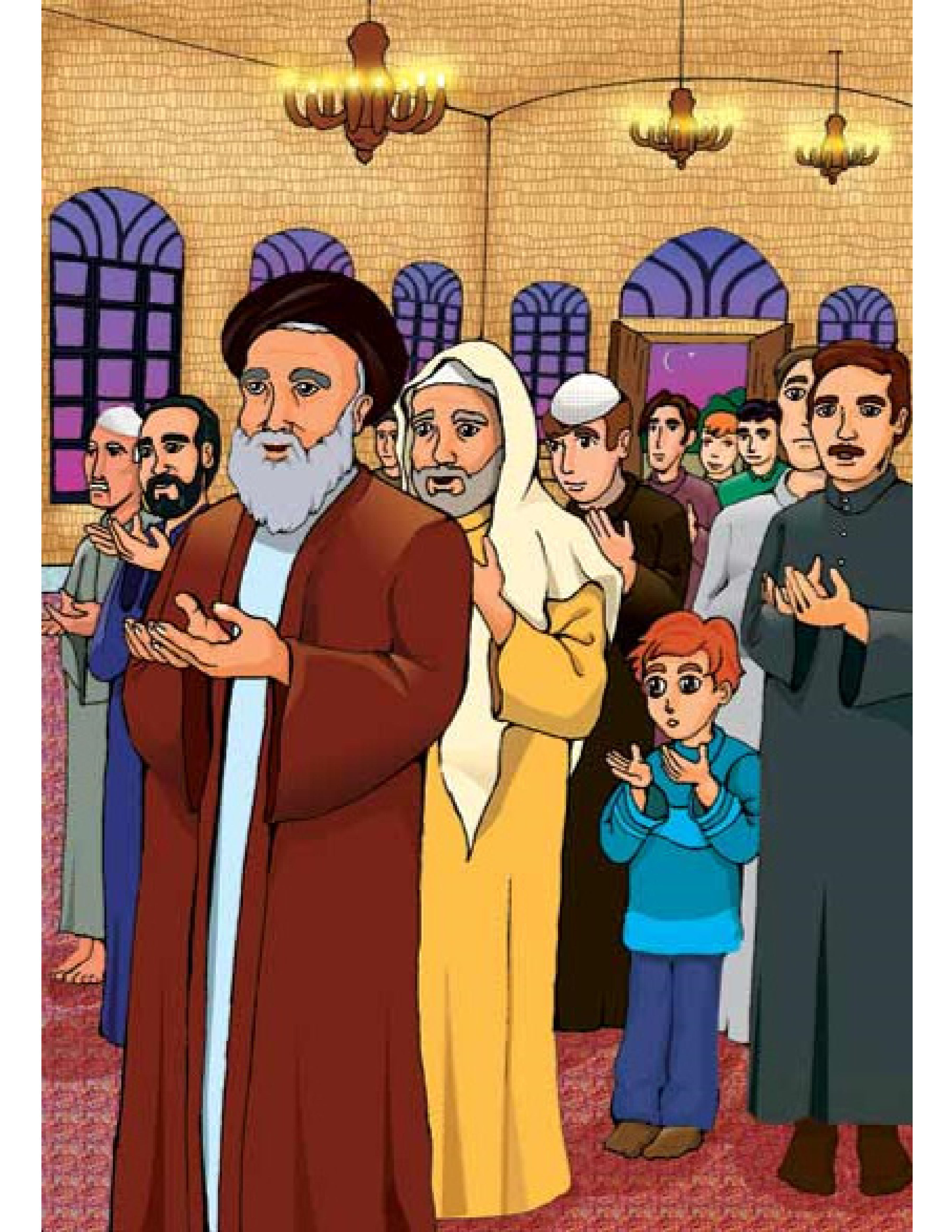

سلسلة الطفولة المهدوية
١
الشوق إلى الإمام
لا إله إلا الله
مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي

في مساء أول يوم من شهر رمضان المبارك سمعنا صوت مؤذن الجامع القريب من بيتنا يؤذن لصلاة المغرب فتوجهنا جميعاً لأداء الصلاة فيه. فوقف الجميع مستبشرين بحلول هذا الشهر الكريم، وبعد فراغنا من الصلاة حمدنا الله وشكرناه على نعمته، ثم سلمَّ المؤمنون على بعضهم البعض وتوجه كل واحد منّا إلى بيته لتناول طعام الأفطار، فإنطلقنا أنا وأبي وجدي إلى بيتنا



حيث وجدنا الأهل بانتظارنا. فجلسنا حول المائدة لتناول طعام الأفطار بعد أن سمّى الجميع باسمه تعالى.

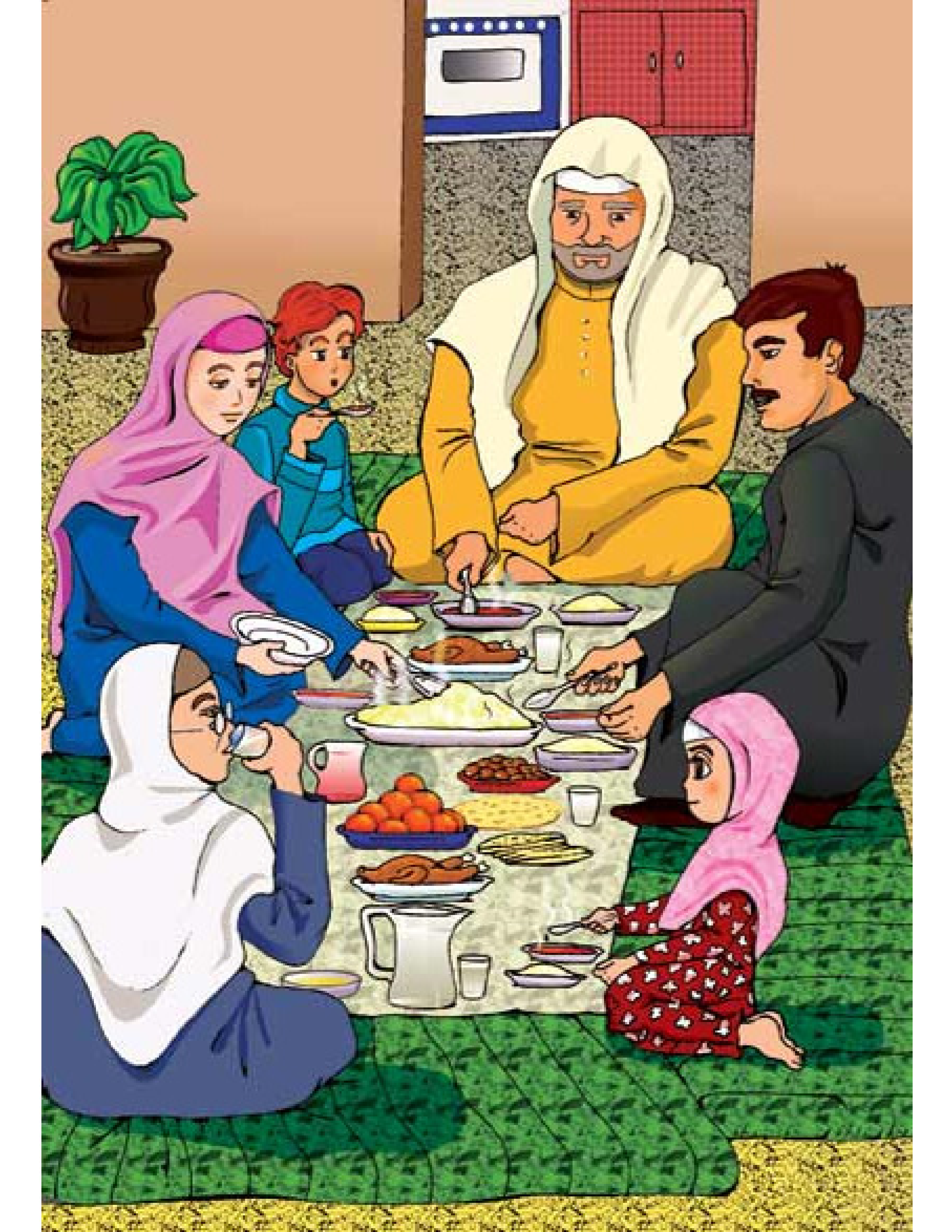
فتناولنا وجبة شهية أعدتها لنا والدتي بمهارة. جلسنا بعد الافطار نأكل شيئاً من الحلوى، وكنت أجلس إلى جانب جدّي. فطلبتُ منهُ كما علمنا في كل سنة وخلال شهر رمضان أن يروي لنا حديثاً مفيداً من أحاديثه الممتعة.

فقال لنا:

_ عن ماذا أحدثكم يا أحبائي؟

_ فقلت له: حدثنا يا جدي عن أي موضوع تختاره فأحاديثك جميلة ومفيدة وممتعة فقال جدي:

_ سوف أحدثكم يا أحبائي عن الإمام المهدي عليه السلام.



فرحنا كثيراً ونحن ننتظر بفارغ الصبر أن نعرف من هو الإمام المهدي الذي يريد جدي أن يحدثنا عنه. وفي هذه الاثناء أحضرت والدتي أقداح الشاي. فأمسك جدي بقدحه وأبتسم وقال:

_ الآن يحلو الحديث ثم أعجب الحديث أبي وأمي وجدتي فأقتربوا منا يصغون لحديث جدي المشوق.

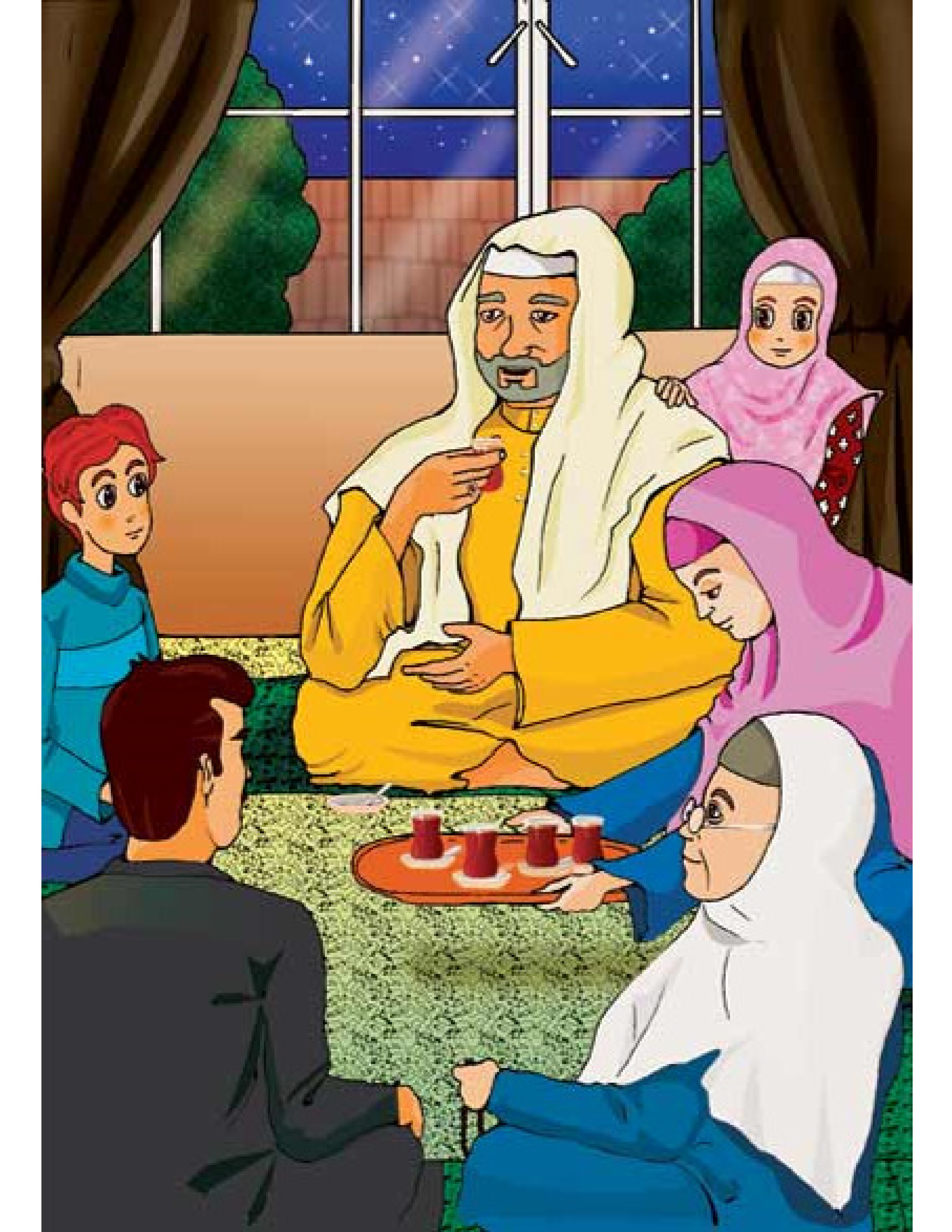
فابتسم وبيده قدح الشاي وقد تناول نصفه وقال:

_ طيبوا أنفاسكم بالصلاة على محمد وآل محمد ﷺ

_ اللهم صلّ على محمد وآل محمد

ثم بدأ جدي حديثه قائلاً:

_ يا أحبائي الصغار يا أعزائي الكبار. الإمام المهدي عجل الله فرجه هو آخر أئمة الهدى الاثني عشر وهو ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام. الذي هو ابن الإمام علي الهادي عليه السلام. ابن الإمام محمد الجواد ابن الإمام علي الرضا عليه السلام. ابن الإمام موسى الكاظم عليه السلام. ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. ابن الإمام محمد الباقر عليه السلام. ابن الإمام علي زين العابدين عليه السلام. ابن الإمام الحسين الشهيد عليه السلام. ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. وجدة الإمام المهدي عليه السلام فاطمة الزهراء عليها السلام زوجة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وبنت رسول الله محمد ﷺ.



فقلت:

_ يا جدي ولكنك ذكرت أن الإمام المهدي عليه السلام هو الإمام الثاني عشر والذين ذكرتهم هم أحد عشر؟

فقال جدي:

_ نعم يا بسام لأنك نسيت الإمام الحسن عليه السلام وهو أخو الإمام الحسين عليه السلام وهو ثاني أئمة الهدى من بعد أبيه الإمام علي عليه السلام.

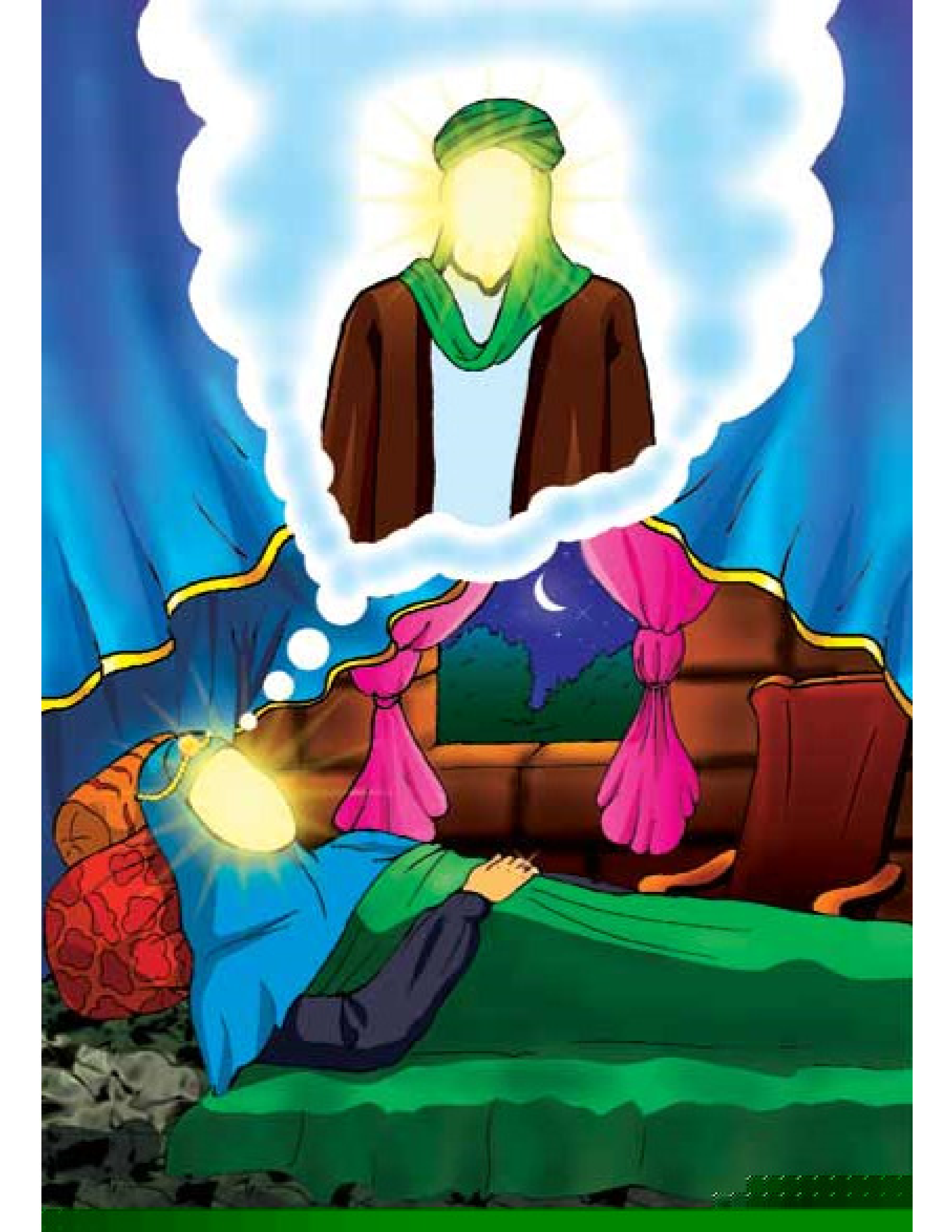
أما أم المهدي عليه السلام فهي السيّدة المعظمة السعيدة (نرجس) واسمها الاول مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم ويعود نسبها إلى أحد حواريي النبي عيسى عليه السلام وكانت مؤمنة متقية تختلف كثيراً عن نساء قومها. كثيرة التعبد والخشوع.

فقلت لجدي:

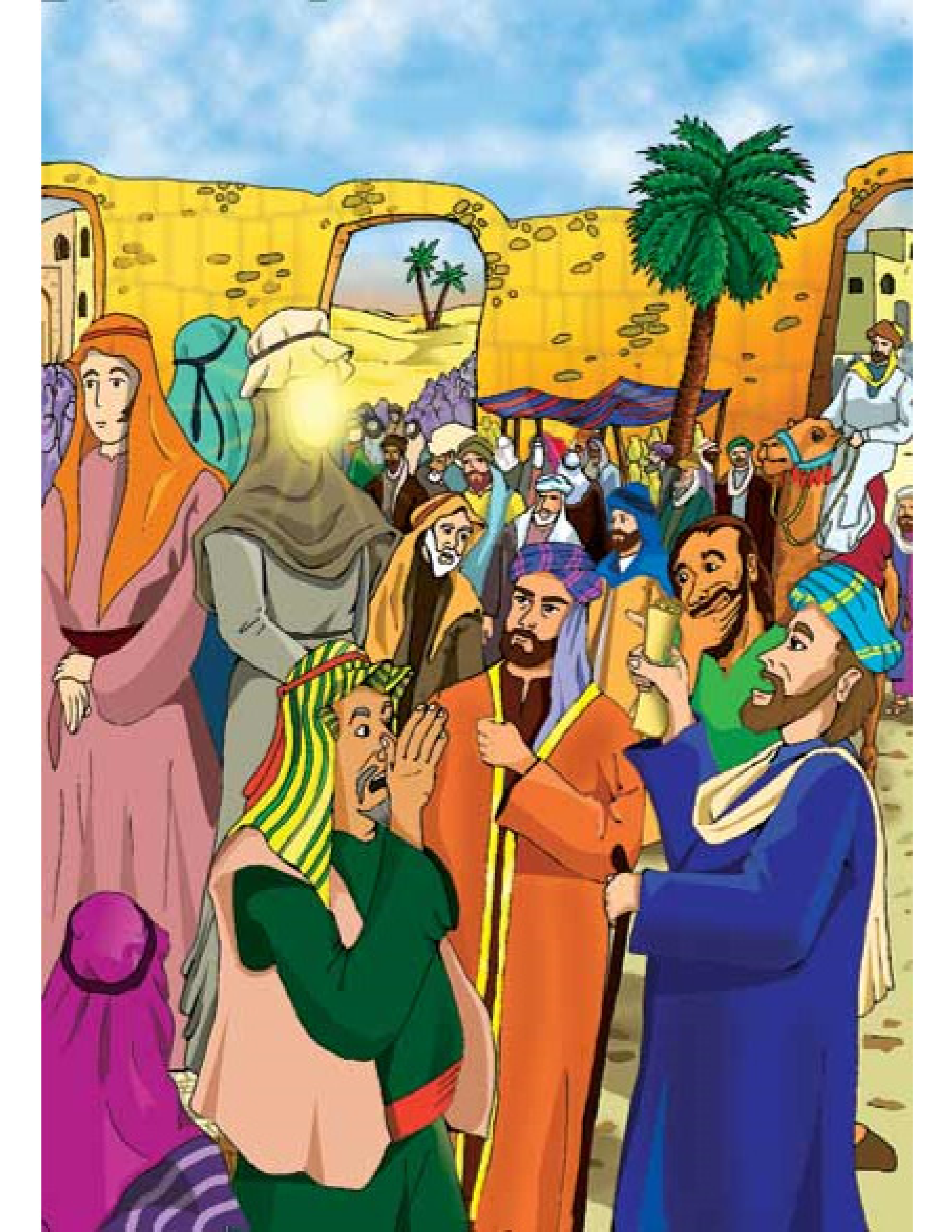
_ وكيف وصلت يا جدي إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام؟

فقال:

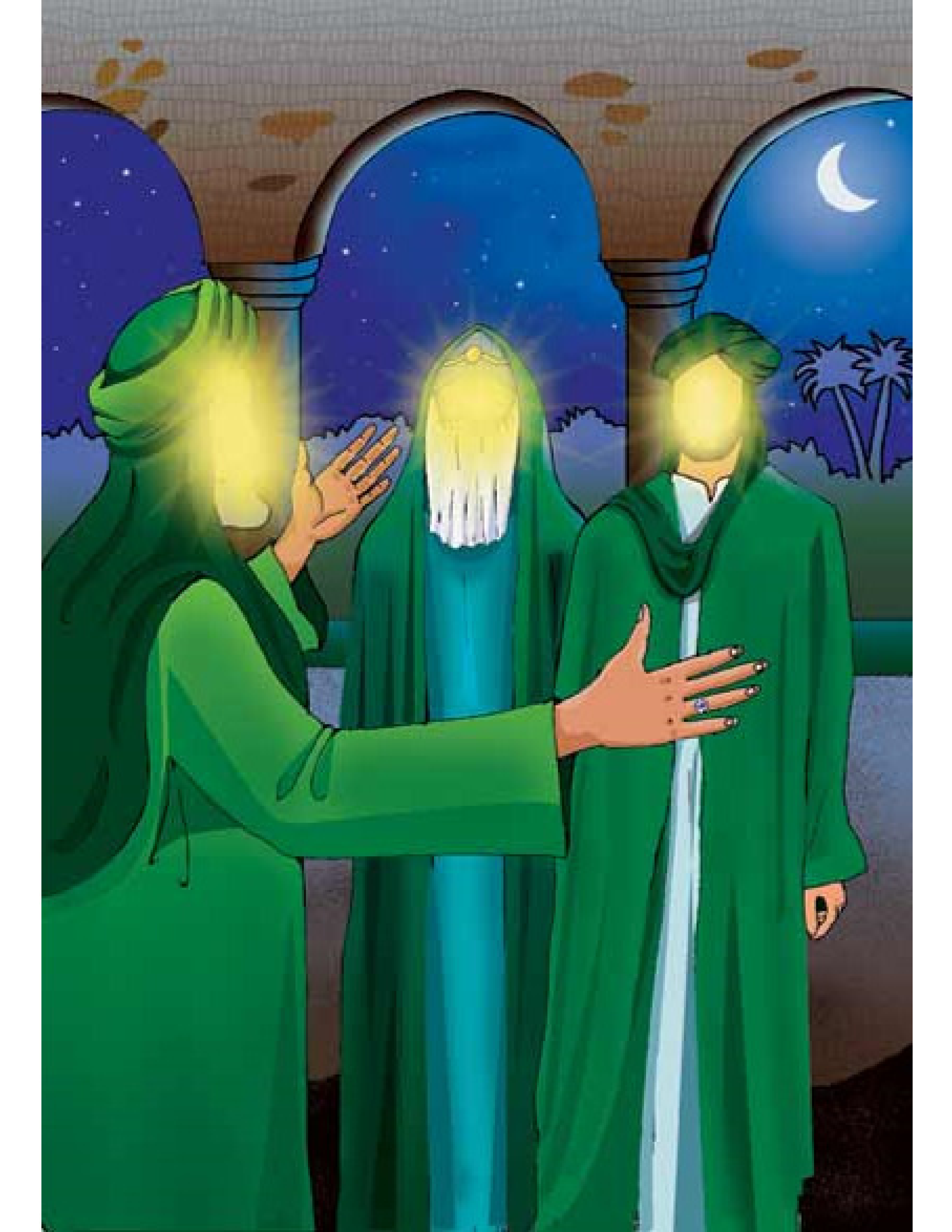
_ ذات ليلة رأت السيدة (نرجس) في منامها الإمام الحسن العسكري عليه السلام وهو يخبرها بأن جدها الملك يجهز جيشاً لقتال المسلمين وعليها أن تخرج مع الجيش متنكرة بزي خادمة ففعلت ذلك ووقعت بالأسر.



فجـاء بها أحد باعة العبيد والجواري إلى الســوق. وفي هذه الاثناء كتب الإمام علي الهادي عليه السلام أبو الإمام الحسن العسكري عليه السلام رسالة بخط يده باللغة الرومية وعليها توقيعه وأرسلها بيد خادمه المخلص (بشر) إلى السيدة نرجس ومعه كيسٌ من المال فأعطى (بشر) خادم الإمام علي الهادي عليه السلام الرسالة إلى السـيدة نرجس وحالما قرأت الرسالة فرحت كثيراً



ووافقت على الفور للذهاب مع خادم الإمام فأشــتراها من بائع العبيد وذهــب بها إلى الإمام الهادي (عليه السلام) الذي قام بتزويجها من ابنه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).



وفي ليلة الخامس عشر من شعبان سنة ٢٥٥ هجريه أنجبت السيدة (نرجس) الإمام المهدي عجّل الله فرجه، الذي أخبرها عنه زوجها الإمام الحسن العسكري عليه السلام فقال لها: (أبشري بولادتك لولدٍ يملك الدنيا شرقاً وغرباً، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً).

وفي هذه الاثناء إلتفت جدي إلينا وقال:



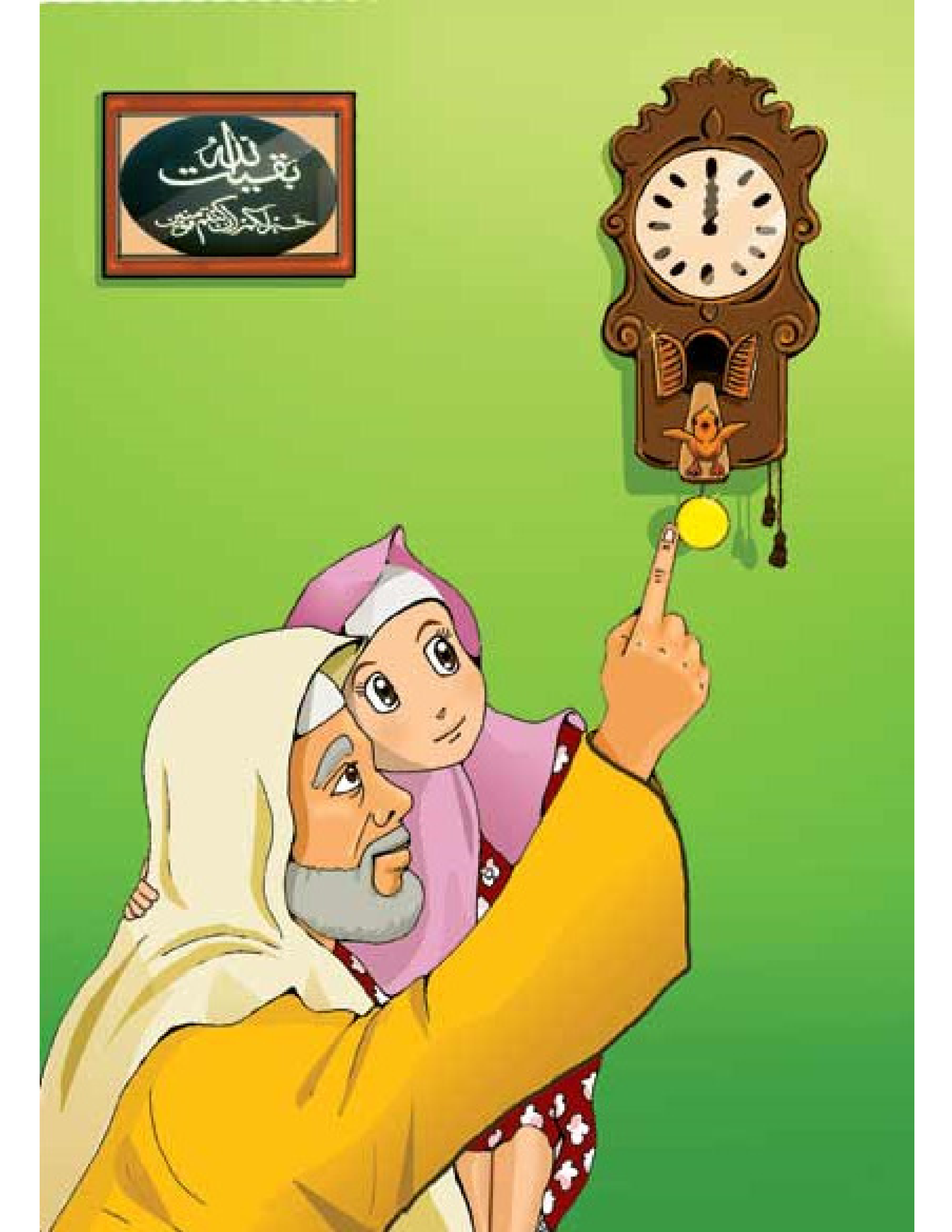
ـ يا أحبائي عليكم أن تخلدوا إلى النوم لنستيقظ قبل الاذان فنتناول طعام السحور ثم نصلي ونقرأ الدعاء ونخرج صباحاً مبكرين إلى أعمالنا وسنكمل حديثنا غداً.

صاحت أختي الصغرى بإصرار:

ـ الآن يا جدي... الآن يا جدي.. أريد أن أسمع باقي الحديث. أرجوك يا جدي العزيز.

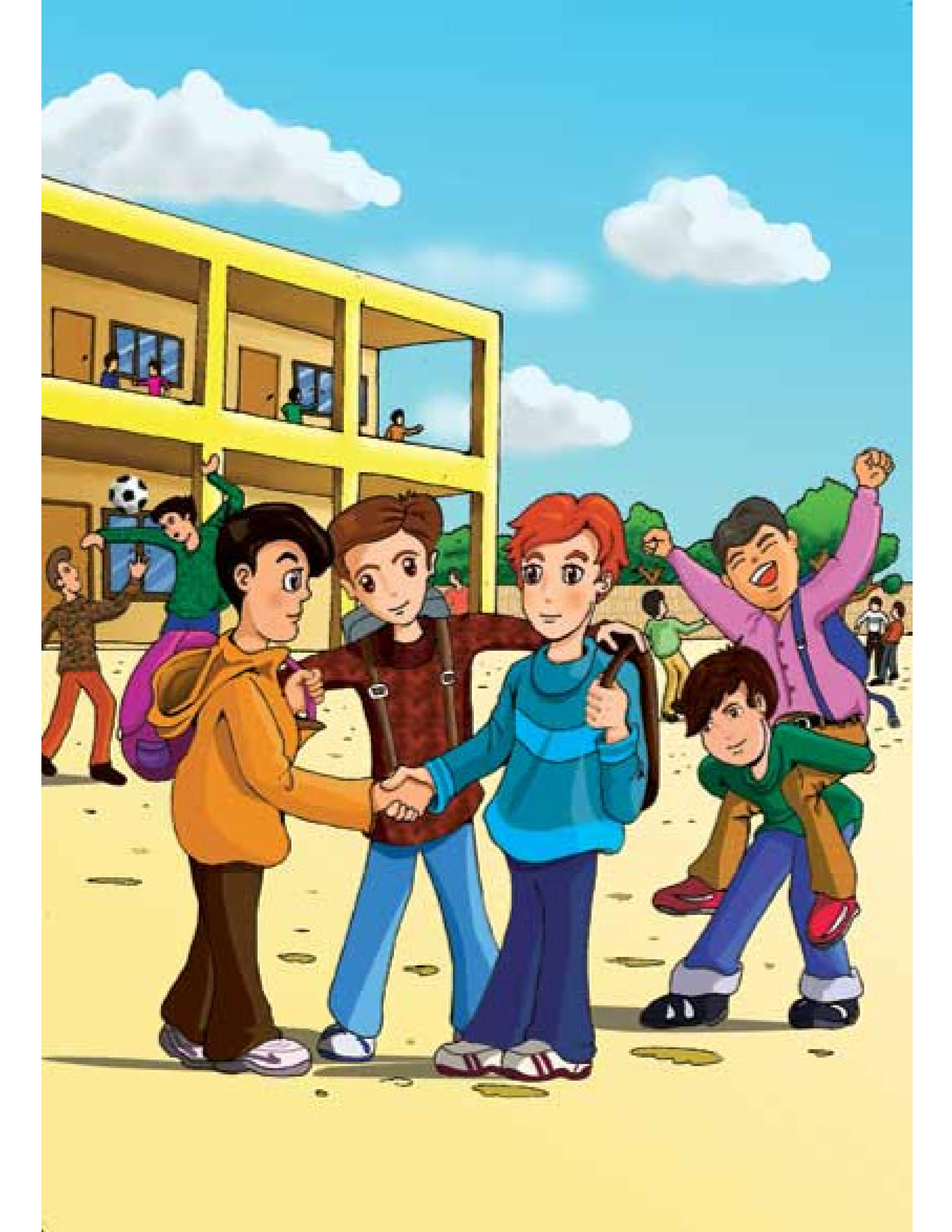
فالتفت إليها مبتسماً وهو يشير إلى ساعة الحائط قائلاً:

ـ يا صغيرتي إن الله لا يحب المقصرين في عملهم وعلينا أن نكون من الموالين المخلصين لله ورسوله وإمامنا الحجة المنتظر ونتبع كل ما يقولونه. لذلك يجب أن نحترم الوقت يا صغيرتي.



بقيت الله

في صباح اليوم التالي ذهبت إلى مدرستي كالعادة وهناك التقيت بأصدقائي وتبادلنا التهاني بحلول الشهر الكريم ونحن نردد فيما بيننا (رمضان كريم وصياماً مقبولاً إن شاء الله) بعد نهاية الدوام خرجنا من المدرسة مودعين بعضنا البعض وذهب كل واحد منا إلى منزله.



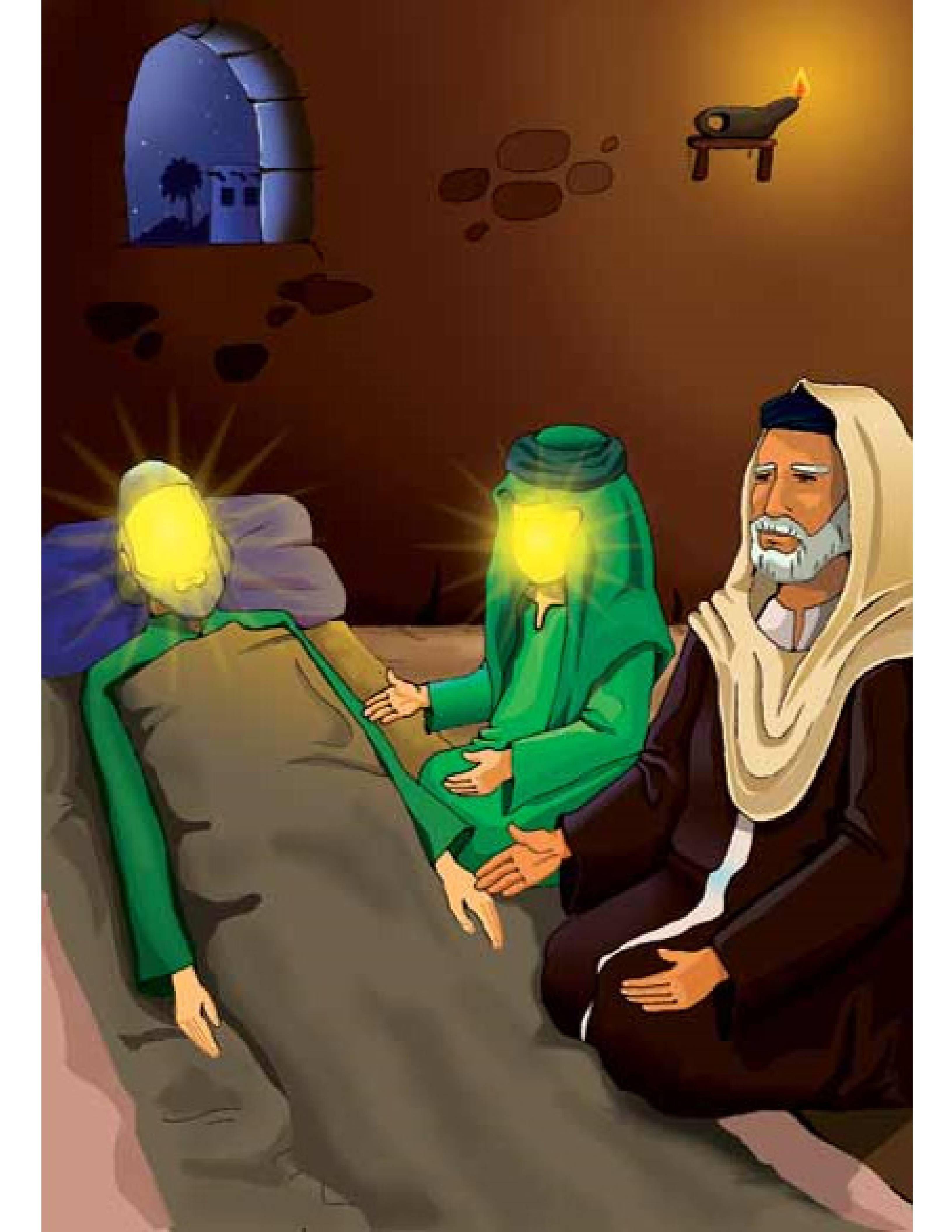
عند المســاء وبعد طعام الافطار إجتمعنا إلى جدي العزيز ليكمل حديثه. وبدأ جدي يروي لنا قائلاً:

_ أين توقفنا يوم أمس يا أحبائي؟

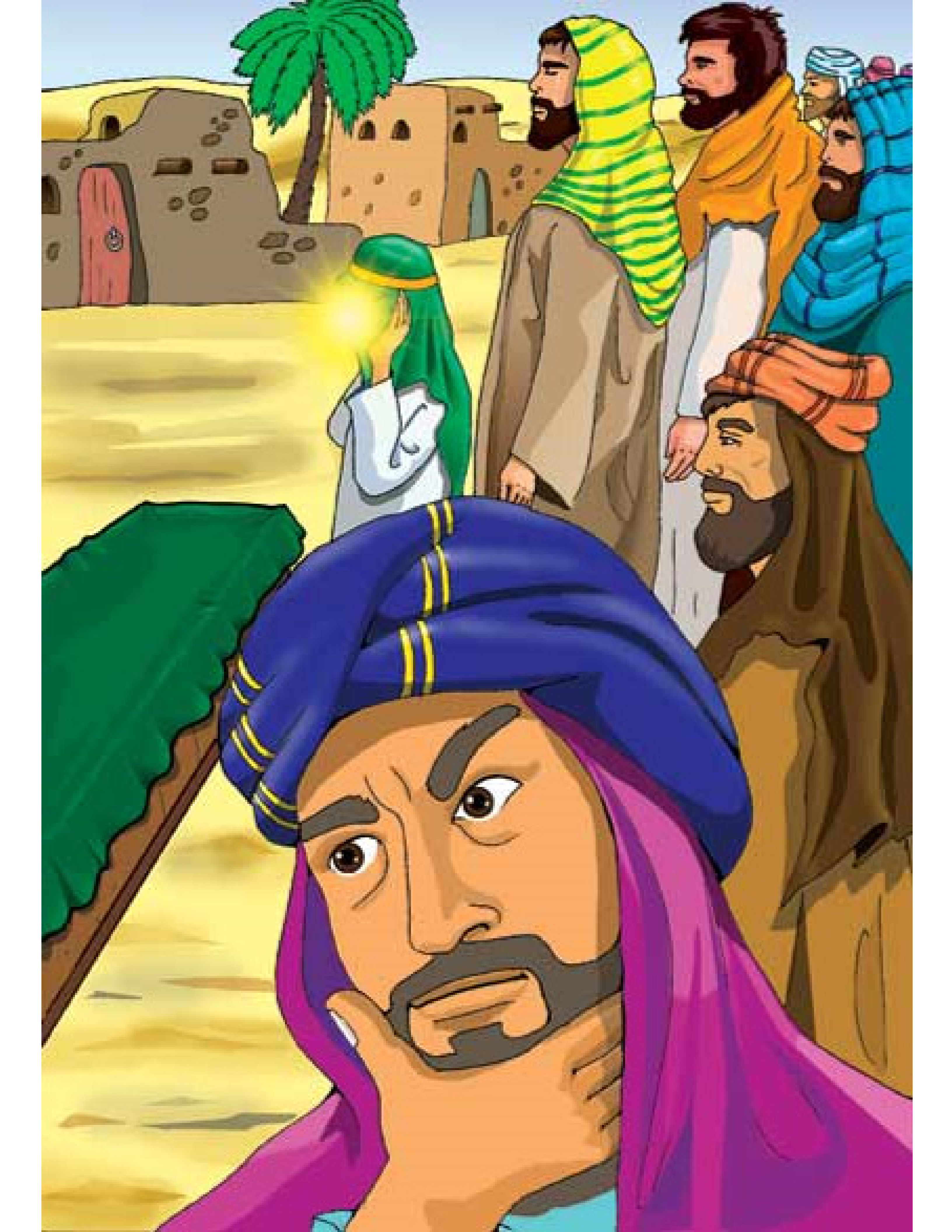
فقلتُ له:

_ توقفنا يا جــدي عند ولادة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وكيف بَشَّرَ الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) زوجته بولادة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

_ نعم يا أحبائي لقد كان عمر الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) عند وفاة والده خمس سنين حيث آتاه الله في هذه المرحلة من العمر الحكمة والعلم. وجعلهُ إماماً في طفولته. كما جعل الله عيسى (عليه السلام) نبياً وهو في مهده.



وهنا يا أحبائي لابد أن أذكر لكم حادثة وقعت للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف). لقد كان لدى الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) عمٌّ يعرف بجعفر الكذاب. فعندما توفي أخوه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) والد الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) كان الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) قد بلغ الخامسة من عمره كما ذكرت. فتسلم الإمامة وهو في هذا السن المبكر ولكنه لم يُظهر هذا الأمر إلا لأصحابه المقربين، وذلك حرصاً على حياته. لأن العباسيين الظالمين كانوا يريدون قتل الإمام ويبحثون عنه في كل مكان، فعندها حاول عمه (جعفر الكذاب) استغلال الموقف فقام ليصلي على أخيه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) فتقدم الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) وأبعده وقال له: (تأخر يا عم أنا أحق منك بالصلاة على أبي) وهكذا صلّى الإمام على أبيه ثم اختفى عن عيون الأعداء.



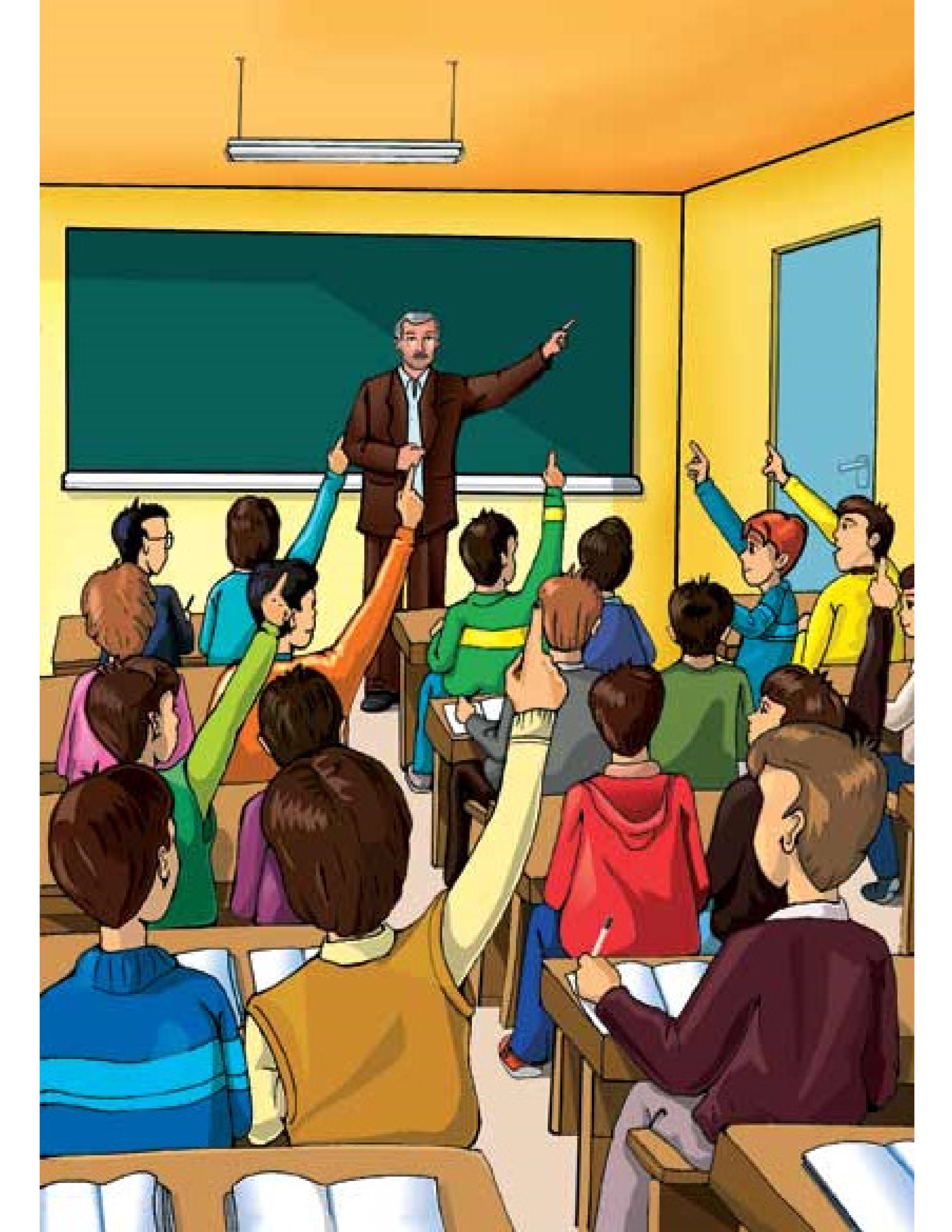
ثم سألتُ جدي:

_ لماذا سمي بجعفر الكذاب وهو أخو الإمام الحسن العسكري عليه السلام؟

فأجابني:

_ لأنه انحرف عن خط آبائه الطاهرين، وادعى الإمامة لنفسه كذباً وزوراً، لذلك لقب بالكذاب. وقد نهى أبوه الإمام علي الهادي عليه السلام أتباعه عن تصديقه وقال: (تجنبوا ولدي جعفر فإنه مني بمنزلة ابن نوح، الذي قال الله فيه: يا نوح انه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح).

وفي هذه الأثناء طرقت الباب ودخل ضيوف إلى جدي فقال جدي غداً سأكمل لكم باقي حديثنا عن غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وانشغل بضيوفه وأصدقائه إلى ساعة متأخرة من الليل.



في صباح اليوم الثاني وكالعادة ذهبنا إلى المدرسة. وفي الحصة الأولى دخل علينا المعلم نبيل _ معلم التربية الإسلامية _ وتلا علينا آية من آيات القرآن الكريم وقمنا بتفسير معناها وتبادلنا النقاش والسؤال في جو يملأه الإيمان وحب الله ورسوله وأهل بيته. ثم دعا لنا المعلم بعد أن أتم الدرس وختم دعاءه بقوله:

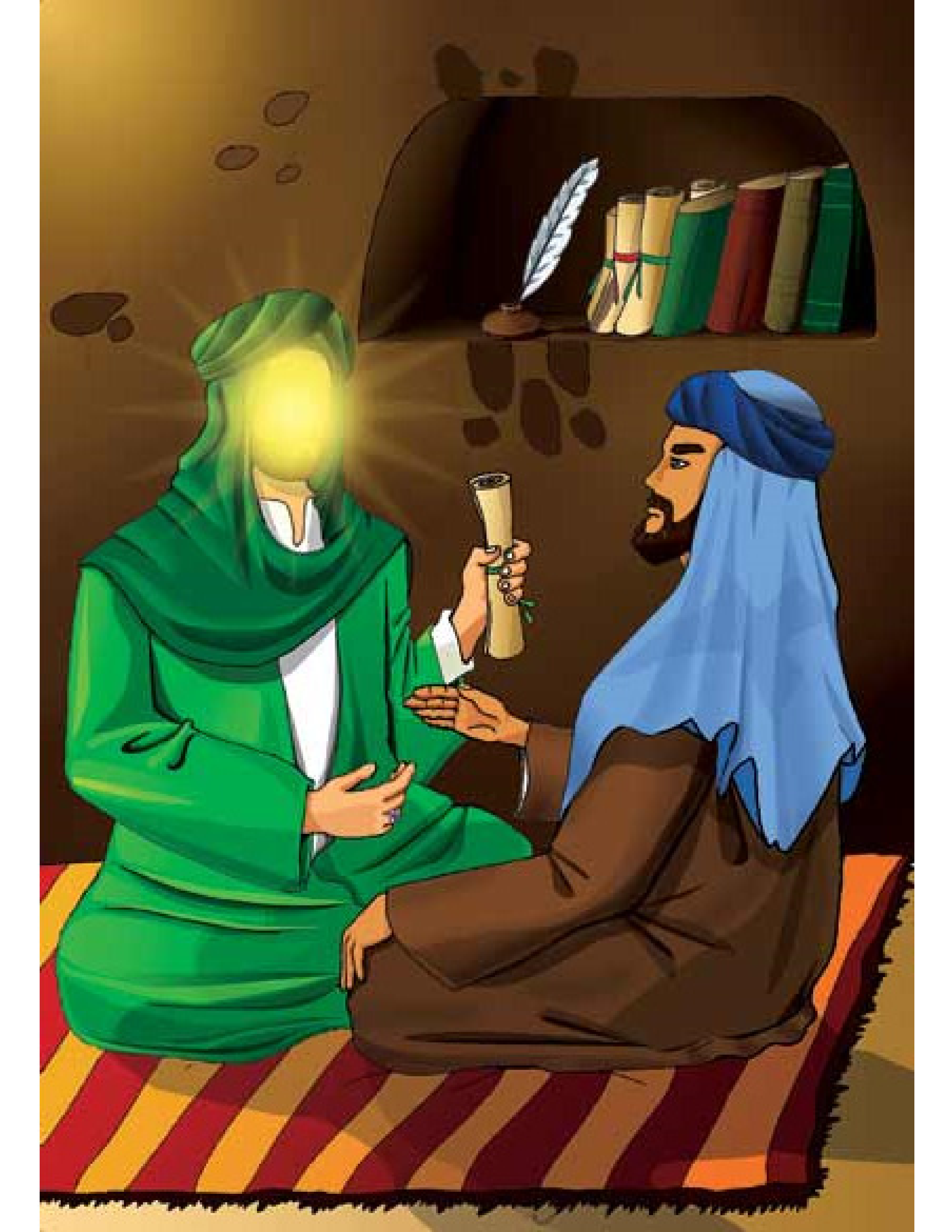
_ اللهم أجلبنا من شيعة وأنصار الإمام القائم المهدي المنتظر # فانتبهت إلى دعاءه وزادني الفضول لسؤال معلمي. فرفعتُ يدي وقلت بعد أن سمح لي بالسؤال:

_ كيف غاب الإمام المهدي يا أستاذ؟ ولماذا؟

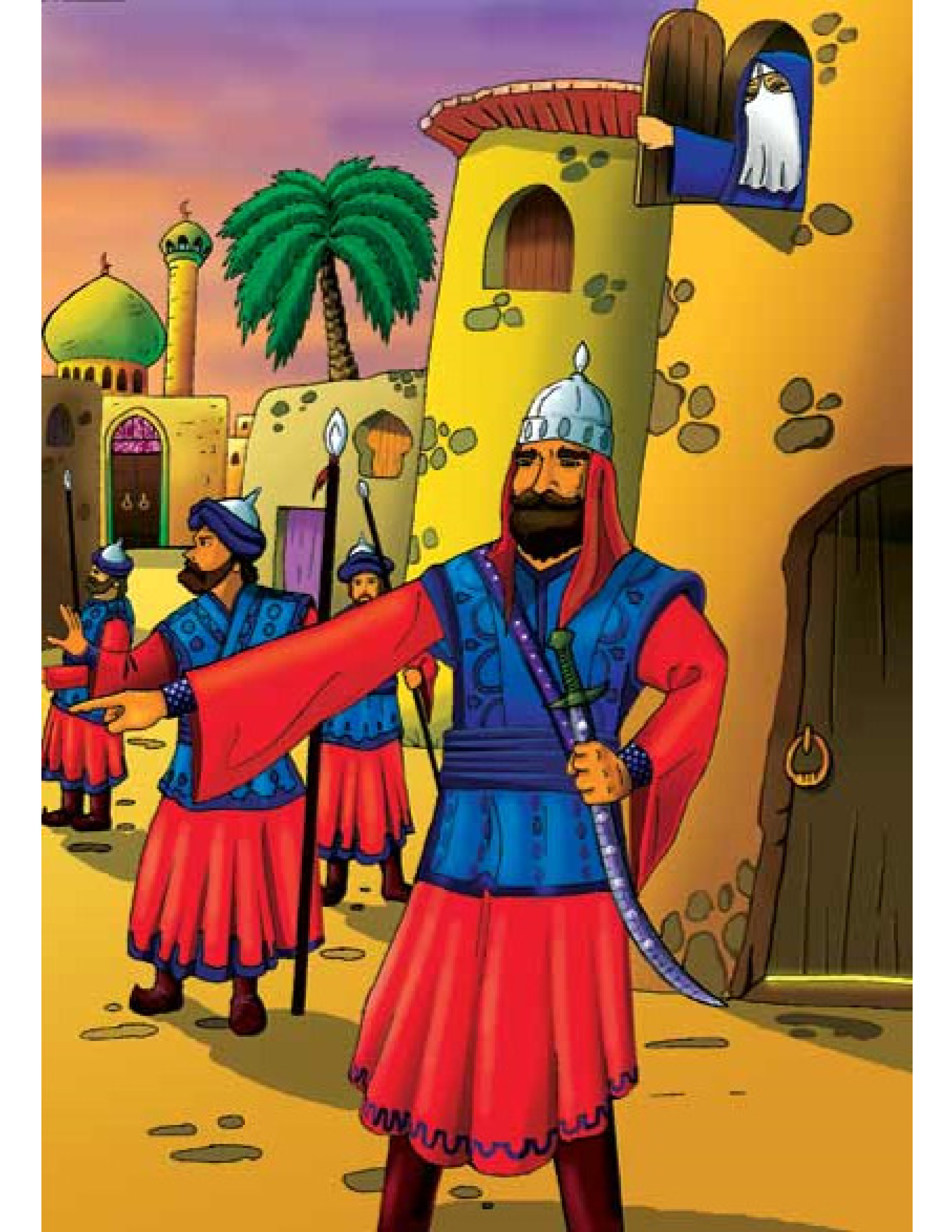
فأجابني مندهشاً:

_ وهل تعلم يا بسام من هو الإمام المهدي؟ فقلت له:

_ لقد أخبرني جدي في حديثه الرمضاني عن الإمام المهدي ووصل في حديثه إلى غيبة الإمام ولكن حبي وشوقي لامامنا جعلني أسألك يا أستاذ فلا أستطيع الانتظار إلى المساء ليخبرني اليوم عن باقي الحديث.



فابتسم الاستاذ وطلب من التلاميذ أن يصغوا لحديثه فقال:
ـ في حياة إمامنا الغائب المهدي (عج) غيبتان يا أبنائي تعرف الأولى بالغيبة الصغرى وتبدأ منذ ولادة الإمام حتى وفاة آخر وكلائه أو سفراءه وقد أستمرت تسعاً وستين سنة وبدأت من سنة (٢٦٠هـ إلى ٣٢٦هـ). وكان الإمام يتصل بالناس عن طريق سفراءه الخاصين به حيث كانوا الواسطة فيما بينه وبين الناس. وبعد وفاة آخر سفير له أنقطع الإمام عن شيعته. وعندها بدأت غيبته الكبرى وهي ما تزال مستمرة إلى يومنا هذا حتى يأذن الله تعالى بظهوره.
ثم سألته:
ـ من هم سفراؤه يا أستاذ؟ فأجابني:
ـ سفراؤه يا بسام هم: (عثمان بن سعيد العمري) ومن بعده ابنه (محمد بن عثمان) وبعد ذلك (الحسين بن روح) والرابع (علي بن محمد السَمَري)
سمع التلاميذ حديثنا وأخذوا يتساؤلون ويقولون من هو الإمام المهدي يا أستاذ؟ حدثنا عنه فالتفت الأستاذ إليهم قائلاً:
ـ يا أبنائي ستقيم المدرسة نزهة علمية إلى مدينة بغداد نتجول في متاحفها وحدائقها على ضفاف دجلة وهناك سنكمل حديثنا وستكون في يوم الخميس.
فرح الجميع وتسابقوا لتسجيل أسمائهم.
عند المساء وكالعادة جلسنا قرب جدي نستمع إلى حديثه. وصرتُ أناقشه وأحدثهم عن ما رواه لي الأستاذ ويحدثنا جدي ودار حديث ممتع. عندها سألتُ جدي:
ـ لماذا غاب الإمام هاتين الغيبتين يا جدي؟ ولماذا كان العباسيون يريدون قتل الإمام المهدي (عج) فأجابني:
ـ لأن الحكام العباسيين كانوا مجرمين وطامعين في السلطة ويكرهون شيعة أهل البيت ويحاربون الأئمة (ع) فأرادوا القضاء على عترة الرسول محمد (ص) بالقوة وإخفاء كلمة الحق فدبروا المؤامرات لقتل الإمام المهدي (عج). لذلك أخفاه الله وغيّبه عن الناس وجعله يتصل بهم عن طريق سفراءه.



أكمل جدي حديثه ودعا لنا بالموفقية والنجاح وأن نكون من السائرين على طريق الإمام المهدي (عج).

كنت أنتظر الرحلة بفارغ الصبر فقد كان يدور في رأسي أسئلة كثيرة عن إمامنا المهدي (عج).

وفي صباح يوم الخميس الجميل أصطف التلاميذ وكنت من ضمنهم وجاء باصٌ جميل فركبنا فيه مع مجموعة من معلمينا ومن ضمنهم معلم التربية الإسلامية منطلقين إلى بغداد.

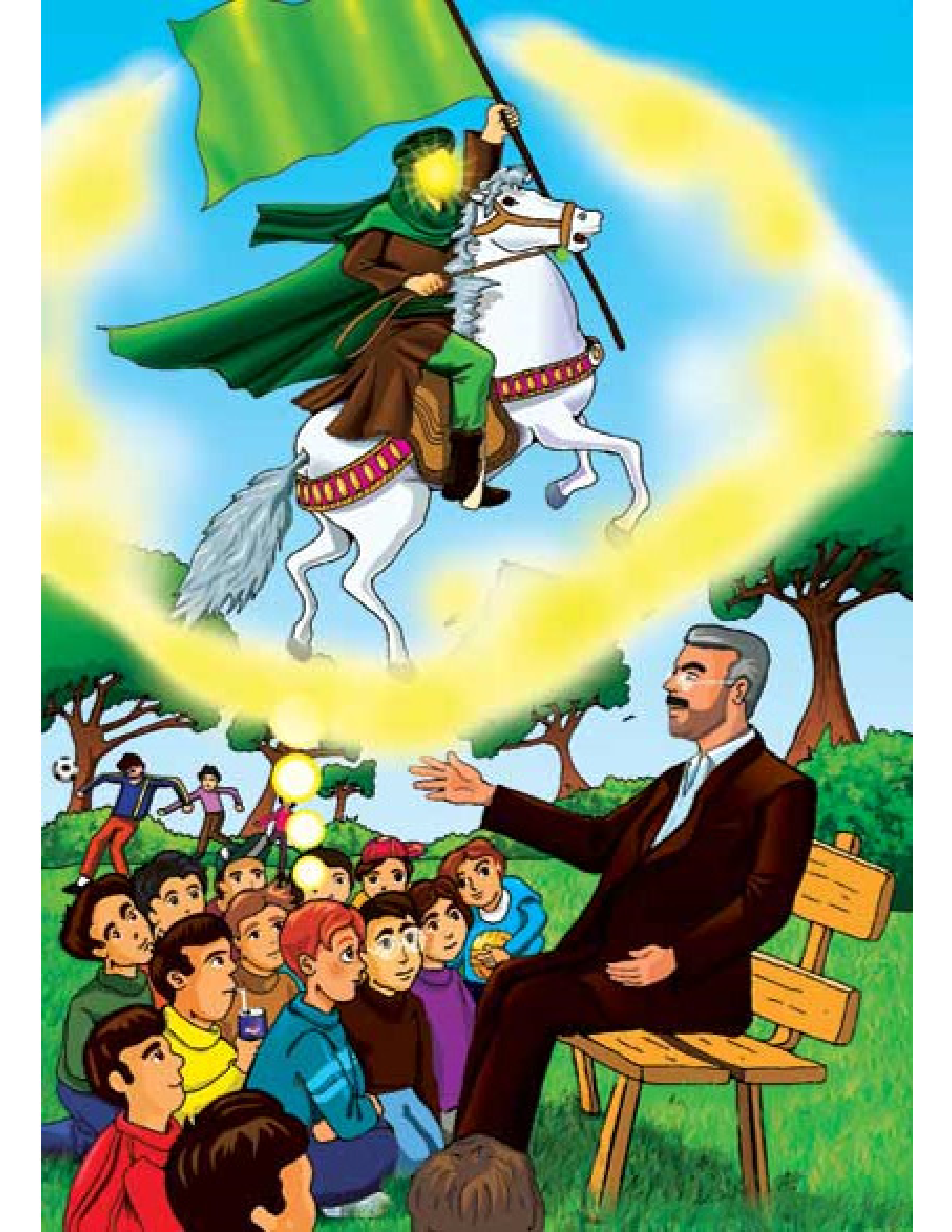
حالما وصلنا إلى هناك توجهنا إلى متحف التاريخ الطبيعي الذي يمثل حضارة وتاريخ بلاد وادي الرافدين وهي أولى حضارات العالم منذ قديم الزمان وعرفنا أن العراقيين هم أول من أخترعوا الكتابة ورأينا أشياء وتحفاً ونوادر جميلة جداً.

خرجنا بعدها نتفرج على مدينة بغداد الجميلة وشوارعها الزاهية بالأشجار فاتجهنا إلى حديقة الحيوانات وشاهدنا فيها مختلف أنواع الحيوانات ثم جلسنا في جانب من الحديقة وبدأ الأستاذ نبيل يروي للتلاميذ حديثه المشوق الذي كنت أعرفه عن الإمام المهدي وما أن أتمّ حديثه رفعت يدي لأسأل. فأذن لي الأستاذ بذلك فسألته قائلاً:

_ هل بشّر الله لنا المؤمنين بظهور الإمام المهدي (عج)؟ فأجاب: _ نعم يا بسام لقد ورد ذلك في آيات كثيرة:

فقد قال تعالى:]وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ[وقال أيضاً:]وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ[.

وأضف إلى معلوماتك يا بسام أن رسول الله (ص) قد بشر به أيضاً حيث قال (ص): «لن تنقضي الأيام والليالي حتى يبعث الله، رجلاً من أهل بيتي يواطيء أسمه أسمي يملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً» وفي حديث آخر له (ص): «المهدي منا أهل البيت» وهناك أحاديث كثيرة.



كما بشر به يا بسام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث قال لابنه الحسين (عليه السلام): «التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق، والمظهر للدين، والباسط عدل» ثم سأل أحد التلاميذ الأستاذ قائلا:

_ كيف يعلم الإمام المهدي (عجل الله فرجه) ما يصيب الناس وهو غائب؟

فأجابه الأستاذ:

_ إن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) غائب عن أبصارنا فقط، وقد يراه الناس ولا يعرفونه، وهو لا يُعرّف نفسه إلا في حالات خاصة، وسيظهر في يوم معلوم عند الله ومجهول عندنا.

ثم سأله صديقي حسن قائلاً: _ وماذا سيفعل يا استاذ عندما يظهر؟

الأستاذ:

_ عندما يظهر إمامنا المهدي (عجل الله فرجه) سيحكم على الأرض جميعها وينزل نبي الله عيسى (عليه السلام) من السماء ويصلي خلفه، وتخضع له جميع الدول والشعوب في العالم، وتنقاد له كافة الأديان والملل، ويطهر الأرض من ظلم الطغاة والمتجبرين ومن كيد المنافقين، ويأتي بالإسلام الصحيح الذي جاء به القرآن وسنة جدّه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله).

بعد أن سألنا الأستاذ ما كنا نرغب بسؤاله عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) حدثنا قائلاً خاتماً حديثه:

_ لقد قرأتُ يا أبنائي حديثاً يقول: «أفضل العبادة انتظار الفرج» فهل تعلمون من هو الذي ننتظره؟ وأي فرج؟

فقلنا جميعاً:

_ إمامنا المهدي (عجل الله فرجه).

فقال لنا:

_ أحسنتم، وكيف يتم ذلك؟

سكتنا جميعاً:

فقال:

_ يتم ذلك يا أبنائي بالعمل الصالح، وأن نتحلى بالأخلاق الفاضلة، وأن نواظب على صلاتنا وأداء كافة أركان ديننا، وأن نحترم الوالدين وأن نتبع أهل العلم والمنطق من رجالنا الأجلاء.

عدنا بعدها إلى مدينتنا بعد أن استمتعنا بالرحلة كثيراً ونحن نتأمل ما قاله لنا الأستاذ في حديثه عن إمامنا المهدي (عجل الله فرجه) وما قاله لي جدي أيضاً داعين الله أن يجعلنا من أتباعه والسائرين على طريقه.

